اليقين

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)﴾ [السجدة]

عَنْ أَوْسَطَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَجَلِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ، حِينَ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ بَكَى أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ، وَسَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» **سنن ابن ماجة(3849)،السنن الكبرى للنسائي(10652).**

لقد ذُكِرَ اليقين في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن ما هو اليقين ؟

اليقين كما عرفه شيخ الإسلام (رحمه الله): فَهُوَ طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ، وَاسْتِقْرَارُ الْعِلْمِ فِيهِ وَهُوَ مَعْنَى مَا يَقُولُونَ: " مَاءٌ يَقَنٌ " إذَا اسْتَقَرَّ عَنْ الْحَرَكَةِ، وَضِدُّ الْيَقِينِ الرَّيْبُ. وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ الْحَرَكَةِ وَالِاضْطِرَابِ يُقَالُ: رَابَنِي يَرِيبُنِي وَمِنْهُ

فِي الْحَدِيثِ: {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ فَقَالَ لَا يَرِيبُهُ أَحَدٌ}.

ثُمَّ الْيَقِينُ يَنْتَظِمُ مِنْهُ أَمْرَانِ: **عِلْمُ الْقَلْبِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ**. فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَعْلَمُ عِلْمًا جَازِمًا بِأَمْرٍ؛ وَمَعَ هَذَا فَيَكُونُ فِي قَلْبِهِ حَرَكَةٌ وَاخْتِلَاجٌ مِنْ الْعَمَلِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ ذَلِكَ الْعِلْمُ كَعِلْمِ الْعَبْدِ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ؛ وَلَا خَالِقَ غَيْرُهُ؛ وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ فَهَذَا قَدْ تَصْحَبُهُ الطُّمَأْنِينَةُ إلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَقَدْ لَا يَصْحَبُهُ الْعَمَلُ بِذَلِكَ؛ إمَّا لِغَفْلَةِ الْقَلْبِ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ وَالْغَفْلَةُ هِيَ ضِدُّ الْعِلْمِ التَّامِّ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ضِدًّا لِأَصْلِ الْعِلْمِ، وَإِمَّا لِلْخَوَاطِرِ الَّتِي تَسْنَحُ فِي الْقَلْبِ مِنْ الِالْتِفَاتِ إلَى الْأَسْبَابِ وَإِمَّا لِغَيْرِ ذَلِكَ.

إذن اليقين هو عبارة عن: **الطمأنينة والاستقرار والثبات وعدم الاضطراب.**

فإذا ما قيل أن اليقين دخل قلب العبد أو أن هذا العبد لديه يقين قوي فإن هذا يعني: أن الإيمان ومعانيه التي جاءت في الكتاب والسنة قد استقرت وثبتت في القلب ولم تضطرب.

فإذا وجد في القلب تردد واضطراب وعدم ثبات فإن هذا القلب غير يقن، أما القلب المليء باليقين فإنه قلب ثابت مستقر لا يُريبه شيء.

درجات اليقين

- **عِلْمَ الْيَقِينِ:** ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر،
- **عَيْنَ الْيَقِينِ:** ما شاهده وعاينه بالبصر،
- **حَقَّ الْيَقِينِ:** ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار.

_فالأول: مثل من أخبر أن هناك عسلًا، وصدق المخبر. أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده ."

_والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه، وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس المخبر كالمعاين".

_والثالث: مثل من ذاق العسل، ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله.

1- عِلْمُ الْيَقِينِ: وَهُوَ قَبُولُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْحَقِّ. وَقَبُولُ مَا غَابَ لِلْحَقِّ. وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا قَامَ بِالْحَقِّ.

الْأُولَى: قَبُولُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى. وَالَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ: أَوَامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ وَشَرْعُهُ، وَدِينُهُ الَّذِي ظَهَرَ لَنَا مِنْهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ. فَنَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ، وَالْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ لِلرُّبُوبِيَّةِ. وَالدُّخُولِ تَحْتَ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ.

_إذن أول شيء ينبغي أن يتوفر لدى العبد حتى يُقال أن لديه يقين هو أن يعلم و يقبل ما ظهر من الله سبحانه وتعالى (أوامر_نواهي_شرع)

_لابد من العلم بأن هناك في الشرع أوامر ونواهي(فالأوامر لابد من الالتزام بها، والنواهي محرمات لا يقترب الشخص منها ولا يأتيها)، وأن الدين لا يسير وفق هوى الشخص كما لا يجوز أن يأخذ منه ما يُوافق عقله أما ما لا يوافقه فإنه يرفضه أو يرده فمَن يفعل ذلك فليس من أهل اليقين ولا علاقة له باليقين من قريب أو من بعيد،

الثَّانِي: قَبُولُ مَا غَابَ لِلْحَقِّ: وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ مِنْ أُمُورِ الْمَعَادِ وَتَفْصِيلِهِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ: مِنَ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالْحِسَابِ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ: مِنْ تَشَقُّقِ السَّمَاءِ

وَانْفِطَارِهَا، وَانْتِثَارِ الْكَوَاكِبِ، وَنَسْفِ الْجِبَالِ، وَطَيِّ الْعَالِمِ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ: مِنْ أُمُورِ الْبَرْزَخِ، وَنَعِيمِهِ وَعَذَابِهِ.

فَقَبُولُ هَذَا كُلِّهِ – إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَإِيقَانًا – هُوَ الْيَقِينُ. بِحَيْثُ لَا يُخَالِجُ الْقَلْبَ فِيهِ شُبْهَةٌ. وَلَا شَكٌّ وَلَا تَنَاسٍ، وَلَا غَفْلَةٌ عَنْهُ. فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَهْلِكْ يَقِينُهُ أَفْسَدَهُ وَأَضْعَفَهُ.

_ومعنى ذلك: أن الله خص نفسه بعلم الأشياء فلم يطلع عليها العباد، واختصاص الله بعلمها يعنى أنه ليس مطلوبًا من الخلق أن يبحثوا عنها لكن يتوقف دورهم بالنسبة لها أن يؤمنوا بها جملة

مثال: صفات الله سبحانه

نحن مأمورون أن نؤمن بها إيمانًا جازمًا فهو(السميع البصير الحكيم العليم القوي القادر القهار) أما كيفية الصفة فلسنا مأمورون بمعرفة ذلك أو البحث فيها فليس كمثله شيء.

نؤمن أن لله سبحانه يد أما شكل هذه اليد فليس لنا أن نُكيفها لأن في التكييف كفر وحرام.

_إذن من الأمور ما غاب للحق وعلينا أن نعلمها جملة أو نعلم منها ما صرَّح به الشرع أن نعلمه ولا نبحث عن الأشياء التي لم يأمرنا الشرع أن نعلمها أو أن نبحث فيها.

مثال آخر: هناك غيب(جنة_نار_بعث_صراط_حساب) نؤمن بهذه الأشياء دون أن ندخل في تفاصيل هذه الأمور فعمق النار أو طولها أو شكل الميزان ليس من شأن العباد، عليهم أن يؤمنوا فقط بما ورد ذِكره في الكتاب والسنة أما ما دون ذلك فلا يعلمه إلا الله عز وجل.

2- عين اليقين: وهو الفرق بين الخبر الصادق والعيان

_فالكلام يبدأ بسماع الخبر وعين اليقين يعني تصديق هذا الخبر وكأنه رأي عين.

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ **أخرجه مسلم(2750)**.

_ما الذي دفع حنظلة إلى القول أنه نافق؟

_لقد ذكر العلة في ذلك فقال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا).

_كان حنظلة وهو عند النبي ﷺ يرى الجنة والنار رأي العين (كأنهما أمام عينيه) أما عند عودته إلى بيته فإنه لا يكون في نفس الحالة التي كان عليها عند النبي ﷺ فينشغل بأموره الحياتية (الحلال).

الشاهد: أن الإنسان قد يصل من الإيمان واليقين أن الغيب بالنسبة له يكون كأنه رأي عين وهذه هي الجزئية التي تنقص المسلمين(عين اليقين)

_فهم يعلمون أن هناك جنة ونار وعذاب وحساب ولكن عين اليقين غير موجود لديهم ولهذا فإنهم يقعون في الخطايا والذنوب.

_فالناس الذين يتقلبون اليوم في المعاصي بكل أنواعها وأشكالها إذا ما سُئل أحدهم هل أنت مسلم؟ فإنه يُجيب: نعم أنا مسلم، هل هناك جنة ونار ؟ أجل يقينًا هناك جنة ونار،

_إذن فلماذا يعصي الله سبحانه؟ لأنه يفتقد جزئية عين اليقين أما المتوفر لديه فهو علم اليقين وهذا هو الموجود عند أكثر المسلمين الآن، فالله عز وجل مستوٍ على عرشه فوق سبع سماوات له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء، الحرام والحلال، كل هذا لدى الغالب الأعم من المسلمين العلم به

_ولكن أين يكمن الخلل؟

_ولماذا يقع المسلمون فيما يقعون فيه من معاصي؟

_لماذا أحوال المسلمين الإيمانية في نزول؟ ولماذا وصلوا إلى ما وصلوا إليه؟ لا يوجد عين يقين بالرغم من وجود علم يقين وهناك فرق بين هذا وذاك.

_فالكلام والرواية شيء واليقين والشعور كأنك تراها رأي عين شيء آخر مختلف تمامًا وهذا هو ما نحتاج إليه، إذا استمر الإنسان في منزلة علم اليقين ولم يتحول أو يرتقي إلى منزلة عين اليقين فسيظل يُذنب ويقع في المعاصي، ولهذا فإن الكثير ممن يذهبون إلى مجالس العلم ويسمعون الدروس ويلتزمون في الظاهر مازالوا يُذنبون، السبب هو عدم الوصول إلى عين اليقين فهم مازالوا في مرحلة علم اليقين،

_إذن الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين أن مَن لديه علم اليقين يمكن أن يُخطئ بل ويُصِر على الذنب، أما مَن لديه عين اليقين فإن الأمر بالنسبة له مختلف.

3- حق اليقين:

فما هو حق اليقين ؟ هذه درجة لا ينالها إلا الأنبياء والمرسلين

_وحق اليقين يعني : ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار

_النبي ﷺ ليلة أسري به (ليلة الإسراء المعراج) رأى الجنة والنار، لقد رأى الجنة ودخلها ورأى النار رأي العين فهذا يسمى حق اليقين وهذه درجة الأنبياء والرسل، أما باقي البشر فإنهم يسعون إلى علم اليقين وعين اليقين ولكن عين اليقين هي المرحلة أو السبب الذي يجعل العبد يُقلع عن المعاصي والذنوب.

كيف يثبت اليقين في القلب:

1- علم القلب وعمل القلب: فالعبد يمكن أن يعلم علمًا جازمًا بأمر معين وبالرغم من ذلك يكون في القلب حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم

_مثال: الأخت تعلم أن التبرج حرام ولا يجوز أن تخرج من بيتها وهي متبرجة ولديها الأدلة والآيات والأحاديث على عدم جواز ذلك (لديها علم جازم بهذه القضية) ورغم ذلك فهناك حركة واختلاج عن العمل فلا تُقدم على القيام بترك الحجاب وتترك السفور والتبرج. فما هو السبب؟!

_مثال آخر :علم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه ولا خالق غيره، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه وقد لا يصحبه العمل بذلك، إما لغفلة القلب عن هذا العلم والغفلة هي ضد العلم التام وإن لم يكن ضدا لأصل العلم، وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب .

توضيح : لو سألت إنسان بسيط فقير هل تحتاج شيء؟ يجيبك قائلًا: لا. الحمد لله، ورغم أن الرزق قليل والظروف المعيشية صعبة إلا أننا نحمد الله

_هذا الرجل يتكلم بصدق فلديه علم أن الله هو الرزاق كما أن لديه حسن توكل في أنه سيُرزق ولكن هذا لا يقوده إلى العمل في كل الأبواب، فمع ما عنده من صدق وعلم وتوكل إلا أنه لا يعمل

_فاليوم نرى هذا يحدث مع أناس كثيرون يعملون أعمال لا تجوز شرعًا، وإذا ما دخلت مع أحدهم في نِقاش

_وسألته هل عملك هذا حرام؟

_نعم، حرام،

_هل لديك علم بحرمته؟

_أعلم.

_فمن هو الرَّزَاق؟

_الرزاق هو الله.

_وبذلك يكون لديه علم ولديه شيء من التوكل ولكنه لا ينقاد لشيء من العمل فلماذا لا ينقاد للعمل؟ لأسباب منها

_أن التوكل لدى هذا النوع من الناس دخل عليه بعض الآفات وهذه الآفات بدورها منعت التوكل من الانتقال من العلم إلى العمل فأدى ذلك إلى الإصرار على المعصية وهذا هو حال أكثر المسلمين الآن ولا يَّدعي أحد

أنه لا يعلم لأن وسائل الحصول على المعلومة أصبحت متاحة بصورة إن لم تكن موجودة من قبل (قنوات فضائية_مجالس العلماء_شبكات التواصل الاجتماعي) فمن أراد أن يعلم أي معلومة فما عليه إلا أن يضغط على زر في جهاز الكمبيوتر حتى تُفتح له الكثير من النوافذ والكتب التي توضح له وتُبين له الحكم فيها.

إذن القضية ليست قلة علم ولكن الاختلاج الموجود في القلب، فاختلاج القلب واضطرابه وعدم ثبات اليقين أدى إلى وصول المسلمين إلى هذا الحال.

فالتوكل يلزمه عمل فما هو؟ أن يعتمد العبد بكليته على الله،

فأصل تعريف التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله، فإذا ما تواجد هذا المفهوم لدى العبد فلماذا لم يصدق في اعتماده على الله ؟ لأن هناك آفات دخلت على التوكل فمنعته من أن يقوم بوظيفته وهي جعل القلب يستقر ويثبت فيه اليقين ولا يضطرب، فإذا ما توقف هذا التوكل عن أداء وظيفته فإن ذلك يعود إلى أسباب منها:

1- غفلة القلب وهي ضد العلم التام إن لم يكن ضد أصل العلم،

فإذا ما غفل القلب فإنه يكون لديه العلم (بالحرام_الحلال_الله هو الرزاق_ هناك اعتماد على الله) العلم موجود ولكن دخول الغفلة على القلب منعت التوكل من العمل فلماذا غفل القلب رغم أنه يذكر الله عز وجل ؟

_قد يذكر العبد ربه بلسانه فلا يكون اللسان غافلًا ولكن القلب بعيد عن ذلك وفرق بين غفلة القلب وغفلة اللسان.

فغفلة اللسان هي: تعطله عن الذكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلاوة القرآن، هذه هي غفلة اللسان أما غفلة القلب فهي أشد وأعظم

فغفلة القلب: قد تكون مع ذكر اللسان وقد تكون بغير ذكره، فالقلب الغافل لا يذكر الله بالكلية أو يذكر باللسان ولكن القلب غافل، وهذا أيضًا هو أكثر أحوال المسلمين(تسبيح_استغفار_صلاة_عبادات مختلفة) ولكن في حالة من غفلة القلب، وهذه الغفلة تمنع التوكل من العمل.

2- الخواطر التي تسنح في القلب:

أي: تعرض على القلب، فإذا ما بدأ القلب في الالتفات إلى الأسباب فإن اليقين يسقط.

مثال: فكرة عرضت على العقل وهي لا تُرضي الله وانشغل العقل بها ولا يوجد شيء يدفع هذه الخاطرة أو الفكرة عن العقل فاستمر عملها بلا توقف فتوغلت أكثر فأكثر، وكلما توغلت هذه الخواطر وسيطرت على العقل وأتت على القلب وسنحت فيه وصالت وجالت فيه فما الذي سيحدث؟

سوف يلتفت القلب إلى الأسباب وبمجرد التفات القلب إلى الأسباب فعلينا أن نعلم أن هناك تضاد بين الالتفات للأسباب وبين اليقين، فكلما التفت المرء إلى الأسباب كلما ضعُف اليقين والعكس فكلما قلَّ الالتفات إلى الأسباب كلما علا اليقين(تناسب عكسي) ويظل اليقين في النزول بالالتفات إلى الأسباب إلى أن يصبح العبد يقينه ضعيف ولا يبقى معه إلا علم اليقين لا عين اليقين.

مثال: شخص يحتاج إلى إجراء عملية جراحية خطيرة، ونحن مأمورون بالأخذ بالأسباب فإذا أصاب أحدنا المرض فعلينا بالذهاب إلى الطبيب للعلاج (آخر يحتاج إلى المال فعليه بالعمل لتحصيل المال_واحد يريد أن يُرزق بالذرية فعليه أن يتزوج_وهكذا) أسباب حل المشكلات،

_ولكن مَن أخذ بالأسباب كما أُمِر كيف حال قلبه ؟ وتلك هي الإشكالية

_فإذا التفت القلب للأسباب واعتبر أن العملية ستنجح فدخل صاحبه لإجرائها وأعصابه هادئة مطمئنة لأنه اعتمد على أن أفضل طبيب في العالم هو مَن سيُجري له العملية(اعتمادًا على الأسباب)

وإذا سئل هذا المريض هل ستنجح العملية فإنه يقول: بإذن الله، تلك كلمة تُقال ولكن اليقين جاء من اعتماد القلب ومن ثم على السبب لا على المسبب

_والدليل على ذلك: لو أن أحدًا أخبر هذا المريض قبل بَدْأ العملية بساعات أن الطبيب اعتذر عن إجراء العملية وسيُجريها له طبيب آخر فما الذي سيحدث من هذا المريض ؟

سيتغير حال القلب ويمكن أن يرفض إجرائها بالكلية فلماذا يحدث أمر كهذا ؟ لأنه معتمد على الأسباب، فتعدى الأمر من الأخذ بالأسباب إلى الاعتماد عليها، فالبحث عن أفضل الأطباء وعمل الفحوصات الطبية وما يلزم من أشياء قبل إجراء العملية أمور مباحة لا تضر إيمان العبد ولا تطعن في يقينه وإلى هنا لا يوجد أي أشكال،

أما المشكلة فهي: تبدأ عندما يأخذ الإنسان بالأسباب ثم يعتمد عليها فيضعف اليقين، ومن ثمَّ نزل من مرحلة عين اليقين إلى علم اليقين، ولا يزال القلب في نزول حتى يجد نفسه خاويًا من معاني الإيمان واليقين (شكل_ منظر _مسلم_مسلمة_ملتزم–ملتزمة) فأين الحق وحقيقة الإسلام ؟ غير موجودة

_فما هو الحل؟ عندما تعرض لك الخاطرة فلا تلتفت لها بقلبك

_فكيف يُقاس اليقين ؟ أو ما هي علامات اليقين؟

علامات اليقين

1- أهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا بخلاف غيرهم من أهل النفاق

فالمنافق إذا ابتلي لا يثبت.

_فبعد الهزيمة التي مُنِي بها المسلمين في المرحلة الأولى من غزوة أحد

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)**﴾ **[آل عمران]**

المعنى: أن بعض الناس عرفوا أخبار المشركين فأرادوا أن يخبروا بها المسلمين فقالوا لهم: أن المشركين علموا أنكم في حالة ضعف ولهذا فإنهم يجمعون لكم الجمع في محاولة منهم للإجهاز عليكم

_فكان رد المسلمين: حسبنا الله ونعم الوكيل، فلما قالوا ذلك كان في هذا اعتماد على الله فوصل اليقين إلى مرحلة عين اليقين،

_فلما صدق القلب ورسخ اليقين فيه خلا من الاختلاج والاضطراب وكانت النتيجة هي:

قال سبحانه: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)**﴾**[آل عمران]**

النعمة والفضل وليس هذا فقط بل قال: لم يمسسهم سوء : فدفع عنهم السوء والهزيمة.

فهل كل هذه النتائج جاءت نتيجة كلمة نطقتها الألسنة؟ لقد قيلت الكلمة باللسان ولكن المعنى رسخ في القلب، والدليل أن الكثيرين اليوم يتفوهون بها كثيرًا إلا أن هؤلاء قالوها بقلوبهم التي رسخ فيها اليقين فأصبح الواحد منهم يتكلم بعين اليقين وليس علم اليقين فعادت بما عادت عليهم به من نتائج (بينما نحن نقولها بعلم اليقين لا بعين اليقين).

إذن هناك فارق كبير بين عين اليقين وعلم.

كان النبي ﷺ يعلم في غزوة الأحزاب أن الأعداء قد جاءوا من كل حدب وصوب وأرادوا أن يستأصلوا شأفة المسلمين فأمر الصحابة بحفر الخندق حتى يكون بين الكفار والمسلمين مسافة فلا يستطيعون الوصول إليهم، وقد كان الاختبار والامتحان الذي تعرض له المسلمين شديد جدًا نظرًا لكثرة أعدائهم من الكفار من ناحية والأحوال الجوية الصعبة من ناحية أخرى

فما هو حال المنافقين والوضع على هذه الحالة ؟ أو ما هي ردة فعل المنافقين والحال على هذه الصورة ؟

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12)﴾[الأحزاب]

علامة المنافق: عندما تحدث الشدة والفتنة والاختبار والابتلاء فإن الإيمان لا يثبت في قلب المنافق لافتقاره إلى عين اليقين، وبالتالي فعندما رأى المنافقين حِصار الأحزاب واليهود من ضمنهم للمدينة وقد جاءوا وأعدوا عدتهم لهذه الحرب والأحوال الجوية الصعبة هذه فقالوا : لقد كان النبي ﷺ يحفر الخندق ويقول: أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ فَارِسَ.

يُحَدِّثُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِيهِ حَجَرٌ لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمِعْوَلُ فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَلْقَى

ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ» قَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الْآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى وَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ» وَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ الْآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ» وَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ» قَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ»

السنن الكبرى للنسائي(8807)

المنافقون نظروا لوعود النبي ﷺ على أنها أمور غير معقولة فقالوا: **﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.**

هذا هو كلام المنافق لأنه لا يستطيع أن يثبت عند الشدة والابتلاء والمحنة فليس لديه عين يقين.

أما ردة فعل المؤمنين فقد كانت: **﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)﴾ [الأحزاب].**

يقول بعض أهل العلم : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسله: فما المقصود بهذا؟ وهل وعدكم الله ورسوله أن تحفروا الخنادق وتُواجهوا هذه الظروف الجوية الصعبة؟

الإجابة تكمن في قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)﴾[البقرة].**

هذا هو ما وعدهم الله ورسوله حيث ربط الأحداث ببعضها(حصار من الأعداء_ظروف جوية صعبة _بلغت القلوب الحناجر) فقالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله، فما هو الوعد؟ لابد أن تكون هناك مقدمات للنصر والتمكين كالزلزلة والشدة والمحنة والابتلاء والعذاب والألم والتضحية ثم يأتي النصر والتمكين، أما قبل هذه المقدمات فلا نصر ولا تمكين فهذه سنة كونية ماضية لا تنقطع

_لقد كان لدى المؤمنين علم وقناعة بهذه المعاني ولذلك فإنهم عندما حوصروا وحدث لهم العذاب والشدة قالوا: بالفعل لابد أن يسبق النصر هذا الابتلاء والعذاب والشدة والألم والتضحية وما زادهم ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا

_وعلى المسلم أن يعرف عندما يصيبه الابتلاء وهو مؤمن سائر على الطريق أن هذه هي السنة أن يُصاب ويُبتلى ويُذوق العذَّاب، فإذا لم يحدث له الابتلاء وهو ماضٍ على الطريق فإيمانه مدخول، المؤمن لابد أن يُبتلى بالسراء والضراء تلك سنة ماضية مضت من قبل في الأنبياء صلى الله عليهم وسلم بما فيهم أحبهم إلى الله النبي محمد ρ فلقد ابتلي وامتحن وزُلزِل وواجه أنواع العذاب والآلام وهو أفضل الخلق عند الرب تبارك وتعالى، فكيف بباقي الأمة.

– قصة أم موسى:

تولى فرعون حكم مصر وكان ظالمًا طاغيًا يخشاه الناس، ولا يستطيع أحد عصيان أوامره، ولما رأى فرعون أن أعداد بني إسرائيل تزداد يوما بعد يوم، وأنهم أصبحوا أغنياء يمتلكون الأراضي؛ أصدر فرعون أوامره بسلب تلك الأملاك والأراضي منهم، ولم يكتف فرعون بذلك، بل أمر أن يتم قتل أي مولود ذكر يولد لبني إسرائيل، وكان ذلك بسبب سماع فرعون من حاشيته أنه هناك ذكرًا من بني إسرائيل، سيأخذ منه الحكم ويصبح حاكمًا لمصر بعده ذات يوم، في ذلك الوقت ولد موسي عليه السلام، وخافت عليه أمه كثيرًا واحتارت أين تخفيه عن أعين فرعون وجنوده، فهم إذا رأوه سيقتلونه على الفور،

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)﴾ [القصص]

فماذا تفعل أم خائفة على ابنها وهي تعلم بما سيحدث له ؟

كان من المفترض أن تأخذه وتهرب من البلد أو تُحاول إخفائه عن أعين الناس حتى لا يعلم بأمره أحد ولكن الذي حدث خلاف هذا،

لقد جاءتها فكرة كانت إلهامًا من الله سبحانه وتعالى، أن تصنع صندوقًا من الخشب وتضع فيه المولود، وتلقي به في البحر، وربط الله على قلبها ووضعت صغيرها في الصندوق، وألقته في البحر وأمرت أخته أن تراقبه وتعطيها الخبر،

طفل رضيع يُمنع من ثدي أمه وهذه أول خطورة على رضيع فقد حُرِم من الرضاعة، ثم الخطورة الثانية حيث تم وضعه في تابوت فيمكن أن يختنق،

ثم وضعه في اليم وتلك هي الخطورة الثالثة حيث يمكن أن يلتهمه أي شيء في الماء، وقد يسير التابوت في اليم فيجده أحد جنود فرعون ويأخذونه فيقضون عليه وبعد كل تلك المخاطرة هناك وعد من الله بأن يُرجعه إليها وجعله نبي مرسل.

ما هي درجة اليقين الذي تحتاجه أم لتصنع برضيعها هذا الصنيع؟ وأي يقينٍ هذا؟ لابد أن يكون اليقين قد وصل إلى عنان السماء، الناظر إلى موعود الله عز وجل لها يجده مليء بالمخاطر من كل وجه ولكنها امتثلت وانقادت لموعود الله، ثم عاد إليها نبيًا مرسل.

الشاهد: ما هي درجة اليقين التي يحتاج إليها العبد حتى إذا جاءه الأمر من الله فلا يقيسه على عقله وتلك هي الإشكالية حيث تُقاس الأوامر على العقول، لقد كانت الأوامر تنزل على الصحابة فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا ومن ضمن الأوامر نهي الله للعباد عن أشياء معينة وهذا النهي قد يكون نهي تحريم وقد يكون نهي تنزيه ولكن لم يكونوا يسألون هل هذا نهي كراه أم أنه نهي تحريم بل أنهم كانوا ينتهون على الفور،

وإذا ما جاء الأمر من رسول الله هل هو واجب أم أنه سنة؟

لم تكن هذه الأمور تُناقش لدى الصحابة رضي الله عنهم مُطلقًا

إن أم موسى عندما أوحى لها الله (والوحي هنا يعني الإعلام في خفاء وإلا فليس هناك أنبياء من النساء) فشعرت أن هذا الأمر من الله واستجابت لأمر الله وأيقنت أن هذا سيقع بموعود الله فنفذت ما أوحى إليها به.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)﴾[طه]

انظروا : إلى هذا الجبار الذي يُقَتِّل الأطفال ويستحي النساء ثم يجد هذا الصغير فتمنعه زوجته من قتله فيتركه.

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي: وقد كان كل من يرى موسى عليه السلام يُحبه، ومحبة القلوب للعبد هي أمر إلهي لا دخل لأحد فيه، فأحبه هذا الجبار بأمر من الله فلم يقتله بل أن تدبير الملك أن يُربى هذا الرضيع في بيت هذا الجبار الذي كان يقتل مَن هم مثله واستمر يقتلهم إلا هذا الرضيع فيُربيه ويُطعمه من خيره ويعيش في ملكه ويُعطي أمه مقابل لإرضاعه وفي نهاية الأمر يأتي هلاك هذا الطاغية على يد هذا الرضيع الذي تربى في قصره، لم يستطع هذا الجبار أن يؤذي موسى عليه السلام فقد كَبَلَهُ قدر الله الذي إذا أراد شيئًا فإنه يقول له كُن فيكون فالأمر بيده.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)﴾ [يس]

_هذا الفرعون القاتل الطاغي الظالم لقد طغى وبغى في البلاد وقتَّل العباد وفعل وفعل ثم يرى هذا الرضيع الذي علم جيدًا أن نهايته من الممكن أن تكون على يديه ولكن شاء الله أن يُمسك هذا الجبار عن أن ينال من الرضيع،

_ثم يكبر موسى عليه السلام ويُرسله الله إلى فرعون ويعرض عليه التوحيد وأن ينزع عن نفسه لباس الكفر والادعاء أنه هو الرب الأعلى ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويأبى فرعون إلا الكفر فحاول معه موسى مرات ولكن من غير فائدة، وحدثت حادثة السحرة إلا أنه لم يرجع وأصر على مخالفة موسى عليه السلام وقام بقتل السحرة وجاء أمر الله لموسى بترك البلد فخرج موسى وأخذ معه بني إسرائيل واتجهوا ناحية البحر الأحمر ولما وصلوا

بالقرب من البحر أتتهم الأخبار بأن فرعون خرج هو وجنوده على إثرهم حتى إذا ما أدركهم قضى عليهم

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)﴾[الشعراء]

لماذا قالوا إنَّا لمدركون؟ لقد كان البحر أمامهم ولا سبيل معهم لعبوره وجاء من ورائهم فرعون وجنوده.

علينا أن ننتبه: عندما يلتفت القلب للأسباب فإن اليقين يضعُف في القلب وكلما ازداد الالتفات للسبب كلما ازداد ضعف اليقين، وكذا كان حال بنو إسرائيل فلم يكن الإيمان قد تَرَسَّخْ في القلوب فنظروا للأسباب فوجدوا أن الهلاك مدُركهم لا محالة فإما الغرق في البحر وإما القتل على يد جنود فرعون، فأتى رد موسى عليهم: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)﴾ [الشعراء]

وهذا هو ما نحتاج إليه: فعندما تنقطع الأسباب بالعبد فتنعدم ويرى أن أسباب الهلاك واقعة فهو يرها رأي العين، فنسبة النجاة صفر ونسبة الهلاك مائة بالمائة، هذه النسب خاصة بالعقل أما رب العالمين فلا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وبالتالي تبدلت الأحوال فما الذي حدث؟

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)﴾ [الشعراء]

لقد ضرب البحر بعصاه فإذا به ينشق نصفين ويصبح كل جانب منه كالجبل العظيم وفي المنتصف فتح له طريق كي يعبر منه هو وبنو إسرائيل.

وعلينا أن نتخيل هذا المشهد وكيف إذا أراد الرب سبحانه أن يستدرج عبده الكافر أو العاصي، فلنحذر من استدراج الملك ومن أن يعصي العبد ربه ويُصِر على المعصية بل ويستكبر ويستمر ويُسوِّف ويُجادل.

لقد خرج فرعون وجنوده من قصره وظل ماشيًا في الصحراء إلى أن وصل إلى حدود البحر الأحمر للقبض على موسى واتباعه.

السؤال: ألم يكن من الممكن أن يُهلك الله عز وجل فرعون وجُنده في مكانهم وليس هذا على الله ببعيد فيُنزِل عليهم عذاب من عنده فيُبيدهم ؟

ولكن إرادة الملك شاءت أن يُرِي عباده آيات فظل سبحانه يستدرج هؤلاء حتى وصلوا إلى البحر، فكانت عليهم حسرات فهم يسعون خلف موسى واتباعه بكل قوة ويرونهم أمام أعينهم وأدركوا أنهم سيلحقون بهم ويُهلكونهم ولكن حقيقة الأمر أنه استدراج فلقد وصلوا إلى البحر ورأى موسى وقومه وهم يعبرونه فعميت بصيرتهم وانساقوا خلف موسى حتى إذا كان الجيش في منتصف الطريق عاد البحر إلى ما كان عليه فأغرقهم الله،

_هل رأيتم كيف كان الاستدراج ؟

_فقد يكون الإنسان في معصية وبالرغم من ذلك تتنزل عليه النعم (أموال_أولاد_نعم بكل أشكالها)، أما الطائع فمبتلى

_والنتيجة هي مفاهيم خاطئة : فالعاصي يرى نفسه رغم أنه يعصي إلا أن الله يُكرمه وأن الله غفور رحيم أما المؤمن الطائع فهو دائمًا في حالة ابتلاء، العاصي الذي يُقابله ربه بالنعم ليس هذا رضًا من الله ولكنه استدراج له فيُمهله حتى إذا أخذه يكون أخذ عزيزٍ مقتدر.

– قصة قارون :

عاش قارون في زمن فرعون وقد بغى وعلا في الأرض وأعطاه الله من الأموال الكثير لدرجة أن مفاتيح الخزائن التي يملكها كان ينوء من حملها العصبة أولي القوة (فما هو كم الأموال الموضوعة في تلك الخزائن؟)

_وحتى نعلم أن عطاء الله (صحة_أموال_نعم كثيرة) لا يعني رضاه فعلينا أن ننظُر في هذه القصص لأنها ليست قصص تروى في القرآن ولكنها تحمل العِبرة لأولي الألباب

لقد أعطى الله لقارون من الأموال الكثير.

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)﴾[القصص]

لقد خرج على القوم بغرض التفاخر والتباهي والزهو بما عنده فارتدى من ثيابه الثمين والجواهر والزينة فانبهر الجمع الذين خرج عليهم بهذه الصورة التي شاهدوها، ودائمًا ما ينخدع العوام بالمظهر في حين أنهم لا يلتفتون للباطن.

قالوا: **﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** فمَن الذي أعلمكم أنه ذو حظ عظيم؟ لقد حكموا على الظاهر(الثياب الفاخرة _والجواهر_الحاشية_الخيل _الموكب العظيم) فيحكم مَن ليس لديه علم على الظاهر ويعتقد أنه سعيد بهذا المال

فقال سبحانه: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)﴾[القصص]**

ويلكم: (كلمة زجر) متوجعين مما تمنوا لأنفسهم, راثين لحالهم, منكرين لمقالهم.

فقال أهل العلم لهؤلاء: ما الذي تقولونه هذا فأرادوا أن يردوهم عن هذا الفكر الضال، عليكم أن تفكروا فقد يكون ما هو فيه فتنة وابتلاء وأن ثواب الله هو الخير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يُلقاها إلا الصابرون.

ثم قال سبحانه: **﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)﴾[القصص]**

وبالرغم من قول أهل العلم للعوام(ويلكم وبعد أن خسفت به الأرض) إلا أنهم لم يتوقفوا عن الحديث عن أمواله وما هو فيه، وهذا هو الحال بالنسبة للعوام إلى الآن.

فلو أن شخصا من الأغنياء أصيب بمرض خطير فماذا يُقال عنه : عنده المال الذي يُعالج به وغيره لا يجده، فإذا قيل: أنه مات فلا إشكال عنده لأنه سيترك لورثته الكثير من المال أما الفقير فلا وأيضًا يظل ينظر إلى ما في يد غيره ويندب حظ نفسه.

هذا هو منطق العوام(فحتى لو مات لا يتعاطف معه) من أصحاب العقول الضعيفة والنفوس الخبيثة واليقين الغائب فلا يعلم شيء عن اليقين إلا علم اليقين إن وجد هذا العلم أيضًا.

فيقول أصحاب هذا المنطق: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)﴾

فبعد أن خسف الله به وبداره الأرض إلا أنهم يقولون(ويكأنه) وهي كلمة المقصود بها عدم التأكد التام فجاء الرد،

قال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾[القصص]

لا يُحب الله مَن يريدون العلو في الأرض أو التعالي والتعاظم على الآخرين أو الفخر والتباهي فتلك صفات جاهلية مذمومة ورب العباد لا يرضاها، ولذلك فإن العاقبة لا تكون إلا لأهل التقوى واليقين والورع وليست لأصحاب الأموال أو القصور أو المتعالين في الأرض بل أن عاقبة هؤلاء هي الخسران المبين والنار وطول الوقوف بين يدي الله للحساب في يوم مقداره خمسين ألف سنة فيندمون على كل لحظة مرت عليهم من غير أن يذكروا فيها الله أو يفعلوا طاعة أويقبلوا على الله عز وجل.

كيف للعبد أن يُحصَّل منزلة اليقين:

1- تدبر القرآن.

2- الدعاء.

3- العمل بموجب العلم.

1- تدبر القرآن:

تدبر آيات الكتاب العزيز يُحْدِث في النفس إيمانًا عاليًا، والله سبحانه يذكر في القرآن آيات تتحدث عن الأنفس وعن عظيم خلق الله وعن الآخرة

قال عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾[فصلت]

النفس البشرية مليئة بالآيات.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾[الذاريات]

فلننظر ولو لشيء واحد من هذه الآيات: مراحل دخول الطعام إلى الجسم (التذوق_المضغ_الغدة اللعابية التي تُساعد على البلع _ ثم البلعوم الذي هو ممر للطعام والهواء _ومنه للمرئ_ثم المعدة التي يُصب فيها كم من الأحماض التي تُساعد على هضم الطعام.

والغريب والعجيب والذي لم يسأل أحد نفسه عنه هو أن هذه المعدة التي تُفرز كل هذه العصارات أو الأحماض حتى يتم هضم الطعام لماذا لم تبلى هذه المعدة وتُهضم هي الأخرى نتيجة هذه الأحماض؟

الفم المليء بالأسنان والأنياب والضروس فالتقطيع والطحن والتمزيق لماذا لم ينل من اللسان وهو قطعة من اللحم ؟

ولهذا فإن الآيات التي تتحدث عن النفس والجسد وعن عظيم صُنع الله في الإنسان لابد من الوقوف عندها الانتباه لها لأنها آيات تحتاج إلى تدبر

قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾[يوسف]

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾ [محمد]

يحتاج العباد إلى التدبر، لابد من وقفة مع كتاب الله وآياته فلا تمر الآية من غير تفسير لها ومعرفة المقصود منها والتدبر في معانيها.

من الجميل والرائع كثرة القراءة وجمع الحسنات خاصة مع قدوم شهر كريم كشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ولكن هذا لا يكفي كي يرتقي به العبد إلى مرحلة عين اليقين بل سيظل في مرحلة علم اليقين.

فلماذا نُريد أن نرتقي إلى عين اليقين ونترك العلم؟ حتى يتسنى للمرء أن يُقلع عن المعاصي والذنوب (قلوب_جوارح).

فهذه المعاصي بكافة أنواعها لن يُقلع عنها العبد ويتركها ويهجرها ويتوب منها إلا بعين اليقين، إذن تدبر القرآن هام.

2- الدعاء:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]

"سنن أبي داود(1479)، سنن ابن ماجة(3828) [حكم الألباني] صحيح.

لكن الدعاء كالسيف وكما يقال: السيف بضاربه والدعاء بداعيه،

فإذا كانت اليد ضعيفة لا تستطيع أن تحمل السيف أوتقطع به ورقة ؟ فلا ينفع السيف.

فإذا كانت هذه اليد قوية نوعًا ما فإنها ستقطع ولكن بقدر قوة اليد.

أما إذا أتينا برجل قوي وأدخلناه إلى ساحة القتال أو الجهاد فماذا يحدث؟

يستطيع أن يقطع أوصال وأعناق رجال، فالسيف واحد في وزنه ولكن حامله أو الضارب به هو الذي تتغير قواه.

وكذلك الدعاء واحد فنحن نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعطينا ويرزقنا ويهدينا ويشفي مريضنا ويرحم موتانا،

ولكن ما هو الفرق بين مَن يُستجاب له ومَن لا يُستجاب له ؟

إذن الدعاء كالسيف هذا بضاربه وهذا بداعيه.

يحتاج الداعي إلى استحضار القلب وجمع شعاب العقل والقلب وحضور الذهن عند الدعاء والتضرع.

وآداب الدعاء :

_رفع اليد عند الدعاء في ذل وانكسار

_والثناء على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

_الصلاة على النبي ﷺ

_ثم السؤال في حالة من الأدب والخشوع وذل العبودية بين يدي الله الملك الجليل أن يُعطيه ويرزقه ويتوب عليه وغير ذلك مع التضرع والبكاء والانكسار وهنا إن شاء الله يُستجاب الدعاء

_أما مَن يدعو وقلبه غافل ساهٍ لاهٍ والفكر مُتشعِب في اتجاهات وأودية مختلفة فأنَّى يُستجاب له

3- العمل بموجب العلم:

علينا أن نعلم أن عدم العمل بالعلم قد يُوهنه وقد يذهب به بالكلية، فإذا علم العبد علمًا وجاهد من أجل العمل به فإن هذا العلم سوف يثبت في القلب ويرسخ في العقل وسيعلو اليقين حتى يصل صاحبه إلى مرحلة عين اليقين

أما إذا كان علم المرء في حالة ازدياد ولكن عمله ضعيف ولا يتناسب مع العلم فإن اليقين يضعف في القلب، وكلما ضعف العمل بالعلم كلما ضعف اليقين في القلب ومع الوقت سوف يُنسى ويترك هذا العلم بالكلية.

- التخلف عن العمل بالعلم يؤدي إلى نزول العقوبات.

قال سبحانه : **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)﴾[الصف]**

فما معنى الزيغ ؟ يعني : أن يعرف الحق ثم يروغ عنه روغان الثعالب، فيُجادل و يُراوغ ولا يذعن لأوامر الله ولا يعمل بما علم فيضعف اليقين في القلب ويذهب العلم.

وقال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110)﴾ [الأنعام]

فيأتي الأمر من الله للإنسان مرة بعد مرة ويسمع دروس العلم ويعلم أنه على خطأ وتظهر له ذنوبه وتتضح له عيوبه ولكن دون جدوى فما الذي يحدث نتيجة لذلك ؟ يُقلب الله عز وجل الأفئدة والأبصار.

فما هو المقصود بتقلب الأفئدة والأبصار؟ أي أنه يرى الحق أمام عينيه ولا يستطيع أن يلتزم ويرى الباطل أمام عينيه ولكنه منساق ورائه بالرغم من إدراكه لبطلانه.

إذن الإيمان عندما يأتي العبد أول مرة ومرات بعدها ويُعرض عليه الحق ويُيسر الله له طريق الحق ومعرفة الخير والدين وأحكام الشريعة ثم لا ينزع عن الذنوب والمعاصي ويعود إلى الله فما الذي يحدث ؟ يحدث روغان وزوغان في القلب فلا يُدرك الحق ولا يرى الباطل وتختلط لديه الأمور فلا يستطيع أن يقلع عن المعصية ولا يستطيع أن يترك الباطل كما أن لا يستطيع أن يأخذ بالحق ويلتزم به وتلك عقوبة عدم اتباع الحق بعد أن عرفه.

وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي حَيَّان التَّيْمِيّ عَنْ رَجُل قَالَ: كَانَ يُقَال الْعُلَمَاء ثَلَاثَة:

عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله.

فالعالم بالله وبأمر الله : الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله : الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا

الفرائض . والعالم بأمر الله ليس العالم بالله : الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل " **انتهى من تفسير ابن كثير (729/4) باختصار**

1_عَالِم بِاَللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّه : فلو تحدثنا إلى أحد العوام وسألناه عن الله سبحانه وتعالى فإنه سيقول: الله هو الذي يرزق ويُعطي ولكن هذا الشخص لا يعلم شيء عن أحكام الشريعة

2_وَعَالِم بِأَمْرِ اللَّه لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاَللَّهِ: وهذا لديه علم بالشريعة ولكنه لا يعلم مَن هو الله (هؤلاء هم خطباء الفتن_مشايخ الضلال_علماء الكراسي) فيكون عنده علم بأحكام الشريعة وأستاذ في الفقه المقارن ويسرد كل قول بأدلته ولكنه لا يعلم مَن هو الله والدليل على ذلك أنه تجرأ على الله بالمعاصي ونافق وباع دينه في مقابل مال أو منصب أو جاه

3_عَالِم بِاَللَّهِ عَالِم بِأَمْرِ اللَّه : هذا الفريق جمع بين الاثنين فهو عالم بالله أي يعلم مَن هو الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فيعلم مَن هو السميع فلا يتجرأ أن ينطق بفحش القول أو الغيبة أو النميمة أو آفات اللسان، يعلم أن الله هو القدير وهذا يجعله لا يظلم ولا يطغى في الأرض لأن القدير يقدر أن يُزلزل الأرض من تحت قدميه، وعالم بأمر الله (حرام _حلال_ مستحب_مكروه_مباح)، فيعلم الشرع ويعلم صاحب الشرع وهذا هو أكمل الناس وأفضلهم

عن مالك بن مغول قال: قال رجل للشعبي: أفتنا أيها العالم، فقال: العالم مَن يخاف الله.

قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾**

إذن متى يكون الإنسان عالمًا؟ إذا حقق الخشية من الله سبحانه وتعالى.

- عقوبات التخلف عن العمل بعد العلم.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)﴾[المائدة] .

1_لعن
2_قلوب قاسية
3_تحريف للكلم عن مواضعه
4_نسوا حظًا مما ذكروا به

ولكن كيف يُحرَّف الكلم عن موضعه بالنسبة للقرآن وقد قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾[الحجر]**

_يحدث هذا بالتأويل الفاسد لمعاني القرآن، فتأول الآيات بخلاف المقصود بها

_ثم نسيان العلم، فلعن وقسوة القلب وتحريف للكلم ونسيان للعلم تلك أربعة عقوبات تنزل على من علم ولم يعمل بعلمه.

- جوائز مَن علم وعمل بعلمه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)﴾[النساء].

في الآية الأولى توبيخ من الله عز وجل لمن علم ولم يعمل حيث قال:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾

ففي العمل بما يوعظون به الخير في الدنيا والدين، والثبات على الحق في (أشد تثبيتًا) وهذه جزئية هامة جدًا لأن المرء يمكن أن يعلو ويحقق منزلة في الدين وفجأة يحدث انتكاس ونزول لعدم الثبات على الطريق وسبب الثبات هو العمل بالعلم، ثم يأتي الأجر العظيم من عند الله **﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾**، والهداية إلى الصراط المستقيم المقصود بها: هداية التوفيق وليست هداية الإرشاد، فكلما علم العبد وعمل بما علم فسوف يرتقي في مدارج الكمال فينال خيري الدنيا والآخرة ثم يرتقي فيثبت على الحق، يرتقي فيأتيه الأجر العظيم من عند الله، ثم يرتقي فيُرزق هداية التوفيق وهي العمل بالعلم وتلك هي جوائز وفوائد وثمرات يتحصَّل عليها مَن عمل بما علم.

اعلموا: أن العمل بالعلم هو الذي من شأنه أن يُعلي اليقين في القلب ويُخرج العبد من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين، أما عدم العمل بالعلم وكثرة التفات القلب إلى الأسباب فإنه يُضعف اليقين في القلب ويُوهِنْهُ فينزل من عين اليقين إلى علم اليقين.

إذن عين اليقين تحتاج إلى:

1- عمل 2- عدم التفات إلى الأسباب 3- تعلق بالله

4- وصدق في الدعاء 5- تدبر القرآن

كي نصل إلى عين اليقين وهو المطلوب والسبب والرادع والحارس للقلب من أن يقترف الذنوب والمعاصي وكذا الجوارح، والحارس للعقل من أن تسنح فيه الخواطر السيئة التي تفسد على العبد دينه ودنياه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك